

التَّزْفُّ

مفهومه وأسبابه وعواقبه

إعداد الأستاذ:

سعيد بن مطر المسقري
أبو معاذ

الطبعة الثانية

مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية

التَّرفُّ

مفهومه وأسبابه وعواقبه

التَّعْرِفُ

مفهومه وأسبابه وعواقبه

تأليف الأستاذ:

سعيد بن مطر بن سعيد المسقري



مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية

سلطنة عمان - ولاية الرستاق - ٢٢٢٥٨٧٢٢

الطبعة الثانية



المُقدِّمة

الحمدُ لله الَّذي أَمَرَنَا بِإِثَارِ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ، وَحَدَّرَنَا مِنَ الْاِغْتِرَارِ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ
وَشَهَوَاتِهَا الْفَانِيَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا
بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ تُحَذِّرُكَ - أَخِي الْعَزِيزُ - مِنَ التَّرَفِ الَّذِي هُوَ التَّلَفُ، التَّرَفُ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ دِينُهُمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا التَّرَفُ؟
وَهَلْ أَهْلَكَ الْأُمَمَ، وَالشُّعُوبَ، وَالْأَفْرَادَ الْمَاضِيَةَ، وَالْحَاضِرَةَ، إِلَّا التَّرَفُ؟ وَهَلْ
أَذَلَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُعَاصِرَةَ بَعْدَ عِزَّتِهَا إِلَّا الْاِنْغِمَاسُ فِي الْمَعَاصِي
وَالتَّرَفُ؟ اسْأَلِ التَّارِيخَ يُخْبِرُكَ مَاذَا فَعَلَ التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَبْعَدَ النَّاسَ عَنْ رَبِّهِمْ
إِلَّا التَّرَفُ؟ أَلَا تَرَى الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْعَظِيمَةَ تَذُمُّ التَّرَفَ؟ وَإِذَا كَانَ التَّرَفُ
بِهَذِهِ الْخُطُورَةَ، فَمَا حَقِيقَتُهُ؟

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ، وَآلِهِ
وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا هُوَ كِتَابُ التَّرَفِ فِي طَبْعَتِهِ الثَّانِيَةِ. التَّرَفُ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا التَّرَفُ؟ إِنَّهُ هُوَ التَّلَفُ. أَخِي الْمُتَرَفُ أَمَا رَأَيْتَ مَا فَعَلَ التَّرَفُ
بِالْمُتَرَفِينَ قَبْلَكَ؟ أَمَا تَرَاهُمْ فِي قُبُورِهِمْ صَرَعى وَيَتَمَنَّونَ قَلِيلًا مِنَ الرَّاحَةِ؟ أَمَا
تَرَى نَدَمَهُمْ وَعَذَابَهُمْ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ؟ إِنْ كُنْتَ لَا يُقْنِعُكَ هَذَا فَإِنِّي أَذْكُرُ بِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾ النحل: ١١٢، تَأَمَّلْ كَيْفَ كَانُوا وَكَيْفَ صَارُوا وَنَحْنُ نَرَى هَذِهِ
الْعُقُوبَةَ تَتَكَرَّرُ وَفِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ. أَيُّهَا الْمُتَرَفُونَ أَمَا تَرَوْنَ الْمُتَرَفِينَ فِي
زَمَانِنَا كَيْفَ صَارُوا؟ أَمْ تَنْتَظِرُونَ أَنْ نَصِيرَ مِثْلَهُمْ؟ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُفَرِّجَ
كَرْبَهُمْ وَيَهْدِيَهُمْ.

أَيُّهَا الْمُتَرَفُونَ تَأَمَّلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَاعْرِضُوا

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ سبأ: ١٥ - ١٧.

أَيُّهَا الْمُتَرَفُونَ لَا تَقُولُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ غَارِقُونَ فِي التَّرَفِ وَلَمْ يُصِبْهُمْ شَيْءٌ فَإِنَّ أَوْلَيْكَ لَا أَمَلَ فِي رُجُوعِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ، أَمَّا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّا فِي الْعِنَايَةِ الْمُرَكَّزَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - يُعَالِجُنَا بِالْمَصَائِبِ، لَعَلَّنَا نَرْجِعُ إِلَى رَبِّنَا وَمَنْ لَمْ يَنْتَبِهْ بِوَكْزِهِ فَسَوْفَ يَنْتَبِهْ بِسَحْبِهِ إِلَى الْقَبْرِ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَ بِهَذَا الْكِتَابِ عِبَادَهُ وَيُعَرِّفَهُمْ خُطُورَةَ التَّرَفِ.

إعداد: سعيد بن مطر بن سعيد المسقري

(أبو معاذ)

حقيقة الترف

التَّرفُ: التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ. يَقُولُ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَائِيُّ: التُّرْفَةُ (التَّرفُ): التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ.^(١)، وَهَكَذَا قَالَ الْقُطُبُ فِي تَيْسِيرِ التَّفْسِيرِ^(٢)، هَذَا هُوَ التَّرفُ، فَالتَّوَسُّعُ فِي النِّعْمِ هُوَ التَّرفُ. وَالْأَصْلُ أَنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ قَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا؛ لِكَيْ نَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَتِهِ، فَهِيَ كُلُّهَا وَسَائِلُ أَعْطَاكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؛ لِتَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْهِ، لَا لِتَشْتَغَلَ بِهَا عَنْ طَاعَتِهِ. يَقُولُ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: "أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ النِّعَمَ؛ لِیَتَقَرَّبُوا بِهَا إِلَيْهِ، فَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْهُ".

مِثَالُ: لَوْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ السُّلْطَانُ سَيَّارَةً؛ لِتَرْحَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُكْرِمَكَ طَوْلَ حَيَاتِكَ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكَ، وَأَنْتَ - كُلَّ يَوْمٍ - تُلَمِّعُ السَّيَّارَةَ، وَتَمْشِي مُفْتَخِرًا بِهَا، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ لِلنَّاسِ: "انْظُرُوا إِلَيَّ، وَانْظُرُوا إِلَى سَيَّارَتِي"، وَانْتَهَتْ الْحَيَاةُ، وَلَمْ تَذْهَبَ إِلَى السُّلْطَانِ، فَهَلْ نِلْتَ كَرَامَتَهُ؟ هَكَذَا الْمُتَرْفُ، بَلْ أَشَدُّ؛ فَأَنْتَ شَغَلْتَكَ سَيَّارَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحَرَمْتَكَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٦.

(٢) تيسير التفسير، ج ٧، ص ٥٥.

خَيْرًا عَظِيمًا، أَمَّا الْمُتَشْرِيفُ فَإِنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ حُجُبٌ تَحْجُبُهُ عَنِ اللَّهِ، تَحْيِلُ كَمِ
حِجَابًا عَلَى قَلْبِهِ؟ وَمَعَ هَذِهِ الْحُجُبِ كَيْفَ يَتَنَوَّرُ قَلْبُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى!؟

إِنَّ الْمُتَشْرِيفَ وَلَوْ أَدَّى الصَّلَاةَ فَمَا أَثْقَلَهَا عَلَيْهِ! وَمَا أَسْرَعَهُ فِيهَا! وَتَجِدُ
الْمُتَشْرِيفَ حَرِيصًا عَلَى تَنْوِيعِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي سَرَفٍ
وَاضِحٍ، وَمَا هَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ. وَتَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى
كَثْرَةِ الْمَلَابِسِ، وَتَحْزِينِهَا وَبِأَعْلَى الْأَثْمَانِ دُونَ حَاجَةٍ، وَتَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى
وَسَائِلِ النَّقْلِ الْبَاهِظَةِ الثَّمَنِ، وَحَرِيصًا عَلَى تَغْيِيرِ مَلَابِسِهِ، وَجَمِيعِ حَاجَاتِهِ،
وَاقْتِنَاءِ الْجَدِيدِ دُونَ حَاجَةٍ.

إِنَّ الْمُتَشْرِيفَ لَا يَقْنَعُ بِمَا يَكْفِيهِ، بَلْ تَرَاهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَوَسَّعَ، وَيَزِيدَ عَنِ
الْكَفَايَةِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ فِي الْمَأْكُولَاتِ، وَالْمَشْرُوبَاتِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمُقْتَنِيَّاتِ،
وَجَمِيعِ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ، وَتَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى الرَّحَلَاتِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ مِنْهَا إِلَّا
ضِيَاعُ الْوَقْتِ، وَالْمَالِ، وَحَرِيصًا عَلَى كَثْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ مِنَ الْمُتَشْرِيفِينَ، وَحَرِيصًا
عَلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ، وَالثَّرَثَةِ.

أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْآبَاءِ قَالَ: "إِنَّ لَدَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِي -تَقْرِيبًا- عِشْرِينَ دِشْدَاشَةً! وَكُلُّ وَاحِدَةٍ قِيمَتُهَا (٣٠) رِيَالًا! وَمَا أَسْرَعَهُمْ فِي رَمِيهَا فِي الْقُمَامَةِ! عَلَى رَغْمِ تَعَبِهِمْ فِي تَفْصِيلِهَا مِنْ خَارِجِ الْوَلَايَةِ!.

هَذِهِ الْمَلَابِسُ، وَقِسْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا مِنَ التَّرَفِ، وَالتَّفَاهَاتِ، فَكَيْفَ يُعَزُّ اللَّهُ أُمَّةً هَذَا حَالُ شَبَابِهَا؟ إِنَّ أُمَّةً لَيْسَ لَهَا هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ تَغْرَقَ فِي الشَّهَوَاتِ مَصِيرُهَا الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِهَا، وَعَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُقَدِّمُوا نَصَحَتَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يَكُونُوا قُدُوةً لَهُمْ وَإِلَّا فَلَا أَحَدٌ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ وَلَكِنْ مِمَّا يُؤْسِفُ كُلَّ غَيُورٍ عَلَى دِينِهِ أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ غَارِقِينَ فِي التَّرَفِ وَحُبِّ الْعَاجِلَةِ وَقَدْ آثَرُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ.

أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ عِلْمُكُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ؟ بِمَاذَا أَذَكَّرْكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَمْ أَعْلَمْ؟ كَيْفَ تَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى تَرْكِ التَّرَفِ وَأَنْتُمْ غَارِقُونَ فِيهِ؟ بِمَاذَا بُحِبُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سُئِلْتُمْ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي تُطَالِبُكُمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؟ هَلْ أَذَكَّرْكُمْ بِهَا وَأَنْتُمْ تَتَرَمَّوْنَ بِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا؟. إِنَّ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَالتَّرَفَ سَوْفَ تَرْحَلُونَ عَنْهُ قَرِيبًا، لَوْ جَاءَكُمْ كِتَابٌ مِنَ الْحَاكِمِ يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاهُمْ وَيَعِدُّكُمْ وَيَتَوَعَّدُّكُمْ فَهَلْ تَكْتَفُونَ بِقِرَاءَتِهِ. يَا أَهْلَ الْعِلْمِ إِنَّكُمْ

إِذَا غَرِقْتُمْ فَسَوْفَ يَغْرُقُ مَعَكُمْ خَلْقٌ كَثِيرُونَ فَتَأْتَهُمُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، إِخْوَتِي
 الْمُقَصِّرِينَ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلِي لِي فِيكُمْ أَمَلٌ كَبِيرٌ فَلَا تَشْغَلْكُمْ الدُّنْيَا الْفَانِيَةُ.
 يَا رِجَالَ الدِّينِ يَا مِلْحَ الْبَلَدِ مَنْ يُصْلِحِ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدَ
 إِنَّ كُلَّ مَا زَادَ عَنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ عَلَى حِسَابِ دِينِهِ بِلَا شَكٍّ، فَإِنَّ
 هَذِهِ النُّقُودَ الَّتِي يَصْرِفُهَا فِي التَّرَفِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا بَسَاتِينَ وَقُصُورًا
 تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ، وَلَيْسَ الْبَلَاءَاتُ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَوِّلَهَا مِنَ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ إِلَى
 الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ نَفْسَهُ بِاخْتِيَارِهِ إِلَّا إِذَا تَابَ؛ فَانْتَبِهْ يَا أَخِي؛
 فَإِنَّكَ بِقَدْرِ مَا تَغْرُقُ فِي التَّرَفِ تَبْتَعِدُ عَنْ رَبِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُحْرِمُ
 عَلَيْكَ أَنْ تَمْلِكَ أَمْوَالًا حَلَالًا وَلَوْ مَلَائِينَ، وَلَكِنْ كُنْ وَسطًا فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى
 بَيْتِكَ، وَقَدِّمْ كَثِيرًا مِنْ مَالِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ؛ فَأَنْتَ تُرِيدُ الرَّاحَةَ وَالسَّعَادَةَ فِي
 الْآخِرَةِ كَمَا تُرِيدُهَا فِي الدُّنْيَا. لِمَاذَا أَرَاكَ تَتَعَبُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْتَاحَ
 فِي الدُّنْيَا؟ كَانَ الْأَوَّلَى لَكَ أَنْ تَتَعَبَ أَكْثَرَ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ هَيَّا
 يَا أَخِي، اجْعَلِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ -إِذَا أَيْقَنْتَ- أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
 وَأَبْقَى، فَسَوْفَ تَتْرُكُ التَّرَفَ، وَتَذَكَّرُ الْمُتَرَفِّينَ الَّذِينَ مَاتُوا؛ فَقَدْ فَاتَتْهُمْ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةُ، وَإِذَا كَانَ التَّرَفُ هَكَذَا يُدْمِرُ أَهْلَهُ، فَلَا تَسْتَغْرِبْ إِذَا وَجَدْتَهُ لَمْ يُذَكَّرْ
فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَذْمُومًا.

التَّرفُ في القرآن الكريم

١- بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ عَذَابَ الْاِسْتِثْصَالِ لِلْأُمَّمِ لَهُ سَبَبَانِ:

أ- عَدَمُ النَّهْيِ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

ب- وُجُودُ التَّرفِ.

يَعْنِي أَنَّ تَكُونِ الْأُمَّةُ لَيْسَ لَهَا هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ تَغْرُقَ فِي التَّرفِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَوْ عَلَى حِسَابِ دِينِهَا؛ تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَتَنَعَّمَ، وَنَسِيَتْ أَوْ تَنَاسَتْ أَنَّ التَّعِيْمَ الْبَاقِيَّ خَيْرٌ مِنَ الْفَاقِي. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦، أَلَمْ تَرَ أَنَّ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ مَوْجُودَانِ الْآنَ فِي كُلِّ أُنْحَاءٍ الْعَالَمِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي؟ أَيْنَ الْبِلَادُ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ وَأَيْنَ الْبِلَادُ الَّتِي لَمْ تَغْرُقْ فِي التَّرفِ الْآنَ؟ فَتִشْ فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَأَعِدِ النَّظَرَ مَرَاتٍ، وَكَرَّاتٍ. إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْبُلْدَانِ الْآنَ تَأْمُرُ بِالْمُنْكَرِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ.

وَإِذَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩؛

إِذَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَصَابَتْهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِهَذَا السَّبَبِ، أَفَلَا يَكُونُ هَذَا مُنْذِرًا لِلأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؟ وَقَدْ عَمِلَتِ السَّبَبُ نَفْسُهُ؟ بَلْ زَادَتْ إِذْ أَمَرْتُ بِالْمُنْكَرِ، وَنَحَتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ.

وَأَنَا لَا أُعَمِّمُ، وَلَكِنَّ هَذَا مَوْجُودٌ فِي عَصْرِنَا فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَعْمَى. فَيَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، مَهَلًا، فَقَدْ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ، وَمَكَّنَ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَأَرْغَمَ لَكَ أَنْوْفًا تَكَبَّرْتَ عَنِ السُّجُودِ لِلوَاحِدِ الدِّيَّانِ، وَجَعَلَكَ سَيِّدَةَ الْعَالَمِ بِلا مُنَازِعٍ، وَأَسْقَطَ لَكَ عُرُوشًا كَانَتْ مَغْرُورَةً بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ، أَفَلَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا لِمَاذَا أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَسْلَافَنَا هَكَذَا وَلِمَاذَا أَذَلَّنَا؟ أَفَلَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا مَا سَبَبُ ذَلَّتِنَا؟ أَفَلَا تَرَى - يَا أَخِي - أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ أَصْبَحَتْ أَرْخَصَ مِنْ دِمَاءِ الْكِلَابِ؟ أَفَلَا تَرَى الْمُهَجَّرِينَ مِنَ الدِّيَارِ

الْمُحَمَّدِيَّةِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؟ أَفَلَا تَرَاهُمْ يَمْوُتُونَ فِي الْبَحْرِ،
وَقَدْ هَرَبُوا مِنْ طَوَاغِيَّتِهِمْ؟

وَاللَّهِ - يَا إِخْوَتِي - إِنَّ لَمْ نَرْجِعْ إِلَى رَبِّنَا وَمَصْدَرِ عِزَّتِنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نَرْتَقِبَ
الْأَسْوَأَ؛ فَقَدْ أَهَنَّا أَنْفُسَنَا بِالْغَرَقِ فِي التَّشْرِيفِ، وَالْمَعَاصِي، فَأَهَانَنَا اللَّهُ ﴿وَمَنْ يُهِنِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ الْحَج: ١٨، إِنَّ أُمَّةً غَرِقَتْ هَكَذَا
كَيْفَ تَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالْعِزَّةَ؟ أَخِي لَا تَقُلْ: مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا السَّيْلِ الْجَارِفِ؟
إِبْدَأْ بِتَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ فِي نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ، وَحِينَ تَقْرَأُ أَيَّ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَعْنِيكَ، نَعَمْ تَعْنِيكَ، وَتَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُطَبِّقَهَا. إِنَّ آيَاتِ
الْقُرْآنِ هِيَ رَسَائِلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُرَادُ الْعَمَلُ بِهَا، فَمَا فَائِدَةُ أَنْ نَتَرْتَّم بِقِرَاءَاتِهِ
وَنُحْنُ نُخَالِفُهُ.

طَبِّقْهُ يَا أَخِي وَبَلِّغْهُ لِلنَّاسِ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ تَبْلِيغَ دِينِ
الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ فَرَضُ عَيْنٍ، وَلَا تَقُلْ: إِنَّ التَّبْلِيغَ وَاجِبٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ فَقَطْ،
لَا، فَإِنَّ شُرُوطَ النَّجَاةِ مِنَ الْخُسْرِ أَرْبَعَةٌ، وَمَنْ أَنْقَصَ وَاحِدًا مِنْهَا فَهُوَ خَاسِرٌ،
رَاجِعُهَا تَجِدُهَا فِي سُورَةِ (العَصْرِ). وَلَوْ لَمْ تَعْرِفْ إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً فَبَلِّغْهَا لِلنَّاسِ،
وَبَلِّغْ جَمِيعَ مَا تَعَلَّمْتَهُ، وَعَرَفْتَهُ يَقِينًا مِنْ دِينِ اللَّهِ، بَلِّغْ أَوَّلًا أَهْلَكَ وَأَوَّلَادَكَ قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤ تَعْرِفُ سُورَةَ قَصِيرَةً أَوْ آيَةً بَلَّغَهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

أَخِي تَذَكَّرْ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَكَ حَسَنَاتٌ عَلَى مِقْدَارِ مَنْ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْكَ، فَكُلُّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، أَوْ أَرَشَدْتَهُ، أَوْ أَمَرْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ هَيَّيْتَهُ عَنْ مُنْكَرٍ، فَكُلَّمَا عَمِلَ الْمُهْتَدِي - عَلَى يَدَيْكَ - خَيْرًا يُكْتَبُ لَكَ مِثْلُ ثَوَابِهِ طَوَّلَ حَيَاتِهِ، حَتَّى لَوْ أَنْتَ تَحْتَ التُّرَابِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَأَنْتَ لَوْ عَلَّمْتَ إِنْسَانًا سُورَةَ الْفَاتِحَةِ مَثَلًا، فَكُلَّمَا قَرَأَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْفَاتِحَةَ يُكْتَبُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، فَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَهُ الْقُرْآنَ كَامِلًا؟ وَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ دِينِهِ؟ وَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَ أَلْفَ إِنْسَانٍ؟ إِيَّاهُمْ يَشْتَغِلُونَ لَكَ، فَأَنْتَ عِلْمِ النَّاسِ الشَّيْءَ الَّذِي تَعْرِفُهُ - يَقِينًا - تَفْرَحُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ يُعِينُكَ.

٢- الْمُتَرْفُونَ يُكَذِّبُونَ الرُّسُلَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ المؤمنون: ٣٣، وَهَكَذَا جَمِيعُ الرُّسُلِ،
أَوَّلُ مَنْ يُكَذِّبُهُمُ الْمُتَرْفُونَ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُمُ الْعَامَّةُ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الثَّرَاءِ، وَالْجَاهِ،
وَالْمَنَاصِبِ، وَلَكِنْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؟ وَأَيْنَ الْمَهْرَبُ؟

٣- الْمُتَرْفُونَ يُحَاوِلُونَ الْهَرَبَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ المؤمنون:
٣٣، إِنَّهُمْ يَرْتُكِضُونَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ فَيُقَالُ لَهُمْ (لَا تَرْتُكِضُوا)، وَارْجِعُوا إِلَى
تَرْفِكُمْ وَرَاحَتِكُمْ، وَبُيُوتِكُمْ. هَٰذَا حَالُ الْمُتَرْفِينَ، إِنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ أَقْلًا أَلَمَ،
فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ عُقُوبَةَ اللَّهِ الْمُدْمِرَةِ؟ فَلَا حِيلَةَ لَهُمْ إِلَّا الصُّرَاخُ، فَانْتَبِهْ أَخِي!
وَاحْذَرْ مِنَ التَّرَفِ وَلَا تَغْتَرَّ بِغَيْرِكَ، فَإِنَّكَ لَوْ فَكَّرْتَ قَلِيلًا فِي حَالِ الْمُتَرْفِينَ
لَعَلِمْتَ أَنَّهُمْ اسْتَبَدَّلُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَلَا حِيلَةَ لَهُمْ إِلَّا الْبُكَاءُ، وَالصُّرَاخُ.

٤- الْمُتَرْفُونَ يَصْرُخُونَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَتَصَرُّونَ ﴿٦٥﴾﴾ المؤمنون: ٦٤ - ٦٥، (يَجْأَرُونَ): يَصْرُخُونَ^(١)، إِنَّهُمْ يَصْرُخُونَ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُعِيشُهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ، وَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَكِنْ هِيَاهُتَ.

٥- التَّرف من أسباب دخول النار:

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ - قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الواقعة: ٤٥، (مُتْرَفِينَ): مُنْعَمِينَ، يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُنْعَمِينَ غَارِقِينَ فِي الشَّهَوَاتِ، فَهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ التَّعَبَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَكَانَ هَذَا جَزَاءَهُمْ. وَهَكَذَا، مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى التَّرفَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَّا مَذْمُومًا، فَهَلْ تَرْجُو مِنْهُ خَيْرًا؟ وَسَوْفَ تَجِدُ - أَخِي الْعَزِيزُ - فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ آيَاتٍ تُحَذِّرُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، وَآيَاتٍ تُخَبِّرُكَ أَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، وَآيَاتٍ تُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا، وَتُرَغِّبُكَ فِي الْآخِرَةِ. آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا تَصُبُّ فِي إِثَارِ الْآخِرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ هِيَ شُغْلَكَ الشَّاعِلَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ

(١) (تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ ج ١٠، ص ٣٨) الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْقُطُبِ.

فَلَا شَكَّ أَنََّّهُ بَعِيدٌ عَنِ التَّزَرُّعِ. وَكَنتُ أُرِيدُ أَنَّ الْحَقَّ تِلْكَ الْآيَاتِ بِمَوْضُوعِ
 التَّزَرُّعِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنَّ الْكِتَابَ سَوْفَ يَطُولُ، وَإِذَا كَانَ التَّزَرُّعُ هَكَذَا فِي
 الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فَكَيْفَ هُوَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؟

التَّزَيُّنُ فِي السُّنَّةِ

هَذِهِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ التَّالِيَةُ كُلُّهَا تَحْتُّ عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ مَتَاعِهَا الْفَانِي، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ، وَشَهَوَاتِهَا الَّتِي تَشْغُلُكَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكَ، وَتَحْتُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالْاِقْتِصَادِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَكُلُّ هَذَا ضِدُّ التَّزَيُّنِ وَبَطَرِ النِّعْمَةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْغَلَكَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَنْ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ الْبَاقِيَةِ؛ فَتَنْدَمَ نَدَمًا مُؤَبَّدًا.

١- زَهْرَةُ الدُّنْيَا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهِيَ قَدْ حَدَّثَ مَا كَانَ يَخَافُهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، هِيَ الدُّنْيَا، مَا أَظُنُّ أَنَّهَا تَزَيَّنَتْ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ زِينَتِهَا الْآنَ، وَهِيَ هُمْ الْمَفْتُونُونَ بِالزَّيْنَةِ أَلْهَتْهُمْ عَنْ آخِرَتِهِمْ.

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ جَنَحُوا جَمِيعًا إِلَى الدُّنْيَا وَمَنْظَرِهَا الْخُلُوبِ
تَزَيَّنَ ظَاهِرُ مِنْهَا فَعْطَى عَلَيْهِمْ بَاطِنًا جَمَّ الْعُيُوبِ

وَأَشْرَقَ مَنْظَرُ فَصَبَتْ إِلَيْهِ عِيُونٌ كَمَهَتْ نَظَرَ الْقُلُوبِ
وَأَوْضَعَ رَاكِبُ الشُّعْرَاءِ سَيْرًا إِلَيْهَا بِالْعَزِيمَةِ وَالِدُّووبِ
فَمِلْتُ عَزِيمَتِي عَنْهَا وَشِعْرِي وَقُلْتُ لِنَاقَتِي يَا نَاقُ جُوبِي
وَلَا تَرْعِي بِمَنْزِلِهَا اغْتِرَارًا فَمَنْزِلُكَ الضَّرِيحُ مِنَ الْقَلِيبِ
فَمَا بَعْدَ الْمَشِيبِ يَكُونُ إِلَّا مُقَاسَاةُ الْفَجَائِعِ وَالْكُرُوبِ^(١)

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ أَنْ لَا يُبَالِغَ فِي اسْتِحْسَانِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزَهْرَتِهَا،
وَزَخَارِفِهَا الْفَانِيَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا تَشْجِيعٌ لِأَهْلِ الدُّنْيَا الْمَفْتُونِينَ بِزِينَتِهَا، وَلِأَنَّ هَذَا
النَّظَرَ يُلْهِمُهُ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمَدَّنْ
عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَثْقَى﴾ طه:
١٣١، وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ خَلْفَانُ بْنُ جُمَيْلٍ السِّيَّابِيُّ -
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:-

يَا آيَةً قَدْ نَزَلَتْ فِي طَه كَفَى بِهَا زَجْرًا لِمَنْ تَلَاهَا
وَلَا تَمَدَّنْ يَقُولُ الْبَارِي عَيْنَيْكَ فَافْهَمْ سِرَّهَا يَا قَارِي

(١) الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ: كِتَابُ الدَّعَائِمِ، ص ١٥٦.

أَنْتَ الَّذِي خُوطِبْتَ يَا خَلِيلِي إِذَا عَقَلْتَ حِكْمَةَ الْجَلِيلِ
فَلَا تَظُنَّ الرَّجَرَ وَالْوَعِيدَا لِلْمُصْطَفَى أُرِيدَ وَالتَّهْدِيدَا
فَالْمُصْطَفَى أَكْمَلُ مَنْ تَأَدَّبَا بِأَدَبِ اللَّهِ وَكَانَ الْمُجْتَبَى
طَهَّرَهُ مِنْ حِينَ مَا اصْطَفَاهُ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهَا سِوَاهُ
وَلَمْ يَكُنْ طَرْفَةً عَيْنٍ رَكْنَا قَطُّ إِلَى زَهْرَةٍ هَذِهِ الدُّنَا
سَرِيرُهُ مُرَّمَلٌ بِاللَّيْفِ أَثَّرَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ^(١)

وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي هَذَا الْمَعْنَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف: ٢٨. وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سِيرَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَجَدْتَهُمْ قَدْ عَاشُوا عَيْشَةً مُتَوَاضِعَةً مِنْ غَيْرِ تَرْفٍ، وَمِنْ غَيْرِ حِرْصٍ عَلَى زَخَارِفِ الدُّنْيَا، وَتَنَوُّعٍ مَأْكُولَاتِهَا، وَمَشْرُوبَاتِهَا، وَمَلَابِسِهَا، فَهُمْ لَمْ يُلْهِهِمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ السَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ، فَاقْتَدِ بِهِمْ، وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ

(١) سلك الدرر ج ٢ ، ص ٤٩٧ .

مَفْتُونٍ بِالدُّنْيَا وَزَهْرَتَهَا، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ، لَا تَنَحِدُ بِمَظْهَرِهِمْ، اللَّهُ يُعِينُكَ، وَيُعِينُنِي.

قِصَّةٌ

"خَرَجَ أَحَدُ الْمُتَرْفِينَ الْمُغْتَرِّينَ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْحَقِيرَةِ فِي مَوْكِ يَلْفِتُ الْأَنْظَارَ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ فُلَانُ الْأَمِيرِ، فَقَالَتْ: هَذَا عَبْدٌ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ!؛ فَلَا تَكْتَفِ بِحُلَاوَةِ فَانِيَةٍ.

٢- الدُّنْيَا حُلْوَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَخِي: إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا حُلْوَةً فَإِنَّ الْجَنَّةَ أَحْلَى، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَانِيَةً فَإِنَّ الْجَنَّةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى؛ فَلَا يَشْغَلُكَ اللَّهُاتُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ.

مِثَالٌ: مَا رَأَيْتُكَ فِي إِنْسَانٍ فَقِيرٍ يَكْدَحُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَعَبُ مِنْ أَجْلِ لُقْمَةِ الْعَيْشِ، ثُمَّ أَرْسَلَ لَهُ الْحَاكِمُ يَقُولُ لَهُ: تَعَالَ عِنْدِي وَسَوْفَ أَكْرِمُكَ، وَأُرِيحُكَ

بِمَالٍ حَلَالٍ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ، هَلْ يُعَدُّ هَذَا عَاقِلًا فِي نَظَرِ النَّاسِ؟
هَكَذَا أَنْتَ - يَا أَخِي - يَدْعُوكَ رَبُّكَ إِلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْأَبَدِيَّةِ، حَيَاةٍ بِلاَ
مَرَضٍ، وَلَا مَوْتٍ، وَلَا مُشْكِلَاتٍ، وَلَا شَيْبٍ، وَلَا حَوَادِثِ سَيَّارَاتٍ، لَكَ فِيهَا
كُلُّ مَا تَشْتَهِي وَتَشَاءُ، فَلَا تَشْغَلُكَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَنْ حَلَاوَةِ الْجَنَّةِ
الْبَاقِيَةِ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَنْ يَدْخُلَ مَعَكَ فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُكَ
فَاجْعَلْهُ خَيْرَ أُنَيْسٍ، وَفَقِيٍّ لِلَّهِ وَإِيَّاكَ.

٣- يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ
وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. إِذَنْ عَمَلُنَا هُوَ
الَّذِي يَبْقَى مَعَنَا فِي الْقَبْرِ، وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ حَرِصِينَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي
يُؤْنَسُنَا فِي الْقَبْرِ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَشْغَلْنَا عَنْهُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَرْفُهَا،
وَزُخْرُفُهَا؛ فَإِنَّهَا إِلَى زَوَالٍ.

تَحَيَّلْ أَنْ عِنْدَكَ ثَلَاثَةُ أَصْدِقَاءَ، أَحَدُهُمْ لَا يَنْفَعُكَ، بَلْ يُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ،
وَأَوْقَاتَكَ، وَالثَّانِي يَنْفَعُكَ فِي وَقْتِ الرَّخَاءِ، وَالثَّلَاثُ تَرَاهُ سَبَاقًا لِمُسَاعَدَتِكَ فِي

وَقَتِ الضِّيقِ، وَالشَّدَّةِ، مَنْ الَّذِي تُفَضِّلُهُ وَتَهْتَمُّ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ؟ أَرَأَكَ تَقُولُ: الثَّالِثُ. نَعَمْ، الثَّالِثُ الَّذِي يَنْفَعُكَ وَقَتِ الضِّيقِ. وَهَكَذَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، تَرَاهُ عِنْدَكَ وَقَتِ الضِّيقِ، حِينَ تُسَدُّ عَلَيْكَ مَنَافِذُ الْقَبْرِ، وَتَرَاهُ مُظْلِمًا، إِلَّا إِذَا نَوَّرَتْهُ بِطَاعَةِ رَبِّكَ، فَاجْعَلْهُ شُغْلَكَ الشَّاعِلَ. قَالَ أَحَدُ الْعُبَادِ: "رَأَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ يُفَارِقُهُ مَحَبُّوبُهُ، فَطَلَبْتُ مَحَبُوبًا لَا يُفَارِقُنِي، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ"، فَاجْعَلْ مَحَبُوبَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَخَلَ النَّارَ نَسِيَ كُلَّ لَذَّةٍ وَتَرْفٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ.

٤- نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. تَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ، فَهُوَ يُخْبِرُنَا بِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ تَرْفًا وَمَالًا وَجَاهًا فِي الدُّنْيَا حِينَ يُعْمَسُ فِي النَّارِ يَنْسَى كُلَّ رَاحَةٍ وَلَذَّةٍ وَتَرْفٍ كَانَ

فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُ حِينَ يُسْأَلُ: "مَا رَأَيْتُ نَعِيمًا قَطُّ" يَعْنِي فِي الدُّنْيَا. أَمَّا مَنْ عَاشَ - فِي الدُّنْيَا - فِي بُؤْسٍ، وَتَعَبٍ، وَفَقْرٍ، وَهُوَ مُطِيعٌ لِلَّهِ تَعَالَى، يَنْسَى جَمِيعَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَصَابَتْهُ فِي الدُّنْيَا، فَحِينَ يُغَمَسُ فِي الْجَنَّةِ يَقُولُ: "مَا رَأَيْتُ بُؤْسًا قَطُّ"، نَسِيَ مَا أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا، نَسِيَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَحَقَّ لَهُ أَنْ يَنْسَى مَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ الْمُؤَبَّدَ.

تَغْنَى حَمَامُ الْأَيْكِ صُبْحًا وَغَرْدًا	فَهَيَّجَ مُحْزُونًا مِنَ الشُّوقِ مُكَمَدًا
لِرَجْرَاجَةٍ بِكَرٍ مِنَ الْخُورِ كَاعِبٍ	تَحِلُّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَرْفَعَ مِصْعَدًا
زَهَتْ بِغَضَارَاتِ الشَّبَابِ فَمَا رَأَتْ	عِنَاقًا وَلَا طُمْثًا وَحَمَلًا وَمَوْلَدًا
وَلَا هَرَمًا تَلْقَى وَجُوعًا وَلَا ظَمًا	وَسُقْمًا وَلَا مَوْتًا وَعَيْشًا مُنْكَدًا
وَلَيْسَ عَلَيْهَا ثَمٌّ فَرَضُ عِبَادَةٍ	فَتَغْيَى وَلَا تَخْشَى وَعِيدًا وَمَوْعِدًا
إِذَا قَعَدَتْ فَهِيَ الْمَيُودُ وَمَشْيُهَا	تَعَازِمٌ فِيهِ بَهْجَةٌ وَتَأْيِيدًا
زَهَا الْمُلْكُ لَمَّا قِيلَ لِلْمُلِكِ إِنَّهَا	حَيَاةٌ وَتَاهَ الْحُسْنُ فِيهَا تَنْجُدًا
خَرُودُ مَيُودٍ غَضَّةٌ بَضَّةٌ تَرَى	لِمَاءِ الْحَيَا فِي الْوَجْهِ مِنْهَا تَرْدُدًا
كُلُّ لَوْوَةٍ مَكْنُونَةٍ ذَاتِ جَوْهَرٍ	تَبْلَجُ مِنْ رِيِّ النَّعِيمِ تَوْقُدًا
وَلَوْ غَلَّةٌ دَبَّتْ عَلَى الْحَدِّ أَثَرَتْ	وَلَوْ رُمْتَ لِحْظَ الْمَتْنِ مِنْ سَاقِهَا بَدَا

وَلَوْ شَابَ شَهْدٌ زُنْجِيًّا لَشَابَهَا بِرِيقَتِهَا فَهِيَ الشِّفَاءُ مِنَ الصَّدَا
هِيَ الطِّيبُ وَالْأَطْيَابُ مِنْ طِيبِ نَشْرِهَا يَطِيبُ فِيَا طُوبَى لِمَنْ طَابَ وَاهْتَدَى
وَطَوَّافٌ وَلِدَانٌ عَلَيْهَا وَأَسْلَمُوا إِلَيْهَا قَوَارِيرًا بِلُطْفٍ تَوَدُّدَا
مِنَ الْمَاءِ وَالْأَلْبَانِ وَالْخَمْرِ لَذَّةٌ إِلَى الْعَسَلِ الصَّافِي لَذِيذًا مُبَرَّدَا
وَبَيْنَ يَدَيْهَا مَا تَلَذُّ بِعَيْنِهَا وَمَا تَشْتَهِيهِ مُسْتَقِيمًا مُحَلَّلَا
تَرَى نَحْوَهَا زَوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ فَكِهِ وَمِنْ لَحْمٍ طَيْرٍ لَا يَزَالُ مُؤَبَّدَا
بَانِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مُحَضَّةٍ وَمِنْ صِحَافٍ مِنَ الْعَقِيَانِ خُلِقْنَ لِلْجَدَا
إِذَا مَا اشْتَهَتْ أَكَلًا لِهَذَا وَذَا دَعَتْ بِسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي تَمَجُّدَا
فِيَحْضُرُ مَصْنُوعًا شَهِيًّا وَمَا رَأَتْ لَهُ مِرْجَلًا يَغْلِي وَنَارًا وَمَوْقِدَا
مَعَ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ وَالنُّورِ وَالْبَهَا تَرَعَّدَ فِي رَوْضِ الْجَنَانِ تَرَعَّدَا
وَلَذَّتْهَا تَزْدَادُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَرَغَبَتْهَا فِيمَا تُرِيدُ تَجَدَّدَا
فَوَيْقَ سَرِيرٍ لَمْ تَصْغُهُ أَنَامِلٌ عَلَى عَبْقَرٍ خُضِرَ تَرَاهُ مُمَهَّدَا
وَفِي غُرَفَاتٍ مَا رَأَتْهَا نَوَاطِرٌ وَلَمْ يَبْنِهَا بَانٍ تَلُوحُ زَبَرْجَدَا
وَمَنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي كَأَنَّهَا رُعُودُ سَحَابٍ دَائِمِ الرُّعْدِ أَرْعَدَا
تَفِيضُ فَتَسْقِي الرُّوضَ وَالرُّوضُ زَاهِرٌ وَنَحْلًا وَرُمَّانًا وَطَلْحًا مُنْضَدَا
فَإِنَّ مَلِكَ الْمُلْكِ وَالْعِزِّ جَارَهَا وَإِنَّ لَهَا فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ مَقْعَدَا

فَتِلْكَ الْمُنَى وَالنَّفْسُ فِيهَا وَدُوهَا عَزَائِمُ هَمَّاتٍ تَفْلُ الْمُهْتَدَا
 فَلَا تَعْذِلْنِي إِنْ عَبَرْتُ لِمِثْلِهَا بِحَارًا وَأَنْجَادًا وَبِيدًا وَفَدَفَدَا
 وَلَا إِنْ هَجَرْتُ الدَّارَ لِلَّهِ مُرْضِيَا وَآثَرْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ فَضْلِهِ غَدَا
 إِلَى أَنْ أَرَى لِلْمُرْمَلِ الْعَفَّ رَاحَةً وَلِلدَّيْنِ عِزًّا مَا بَقِيَتْ إِلَى الْمَدَى
 فَمَا وَجَلِي إِنْ مِتُّ مُسْتَشْهِدًا وَإِنْ حَلَلْتُ بِطُؤَنِ الطَّيْرِ أَوْ كُنْتُ مُلْحَدًا
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ فَتَى حَانَ حَيْنُهُ فَوَافَاهُ فِي يَوْمٍ إِلَى الْأَرْضِ مُخْلِدًا^(١)
 فَلَا تَغْتَرَّ بِرَبِيقِ الدُّنْيَا، وَتَرْفِهَا، وَزَخَارِفِهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تُسَاوِي شَيْئًا مَعَ الْخُلُودِ
 فِي السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ.

هـ - مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبُعَهُ فِي
 الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. يَعْنِي: لَوْ غَمَسْتَ أَصْبُعَكَ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ
 أَخْرَجْتَهَا مِنْهُ، انْظُرْ مَاذَا أَخَذْتَ مِنَ الْبَحْرِ؟ هَذَا مِقْدَارُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى
 الْآخِرَةِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَعَمَّتْ قُلُوبَنَا عَنْ طَلَبِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الدَّائِمَةِ، فَاحْذَرِ

(١) من ديوان السيف النقّاد من نظم الإمام المقدم إبراهيم بن قيس الحضرمي ص ٥١-٥٣.
 الإمام إبراهيم بن قيس إباضي من أرض حضرموت من اليمن المبارك.

— يا أَخِي - قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ، وَأَنْفِقْ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكَ مِنْ مَالِكَ، وَلَوْ كَانَ مَلَائِينَ، فَإِنَّكَ - إِنْ لَمْ تُنْفِقْهُ - تَرَكْتَهُ، شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمَ مِنَ الْعَذَابِ لِأَجْلِ مَالِكَ، يَأْكُلُهُ غَيْرُكَ وَتُعَذِّبُ أَنْتَ عَلَيْهِ، فَمَنْ تَلُومُ؟ أَلَيْسَ هَذَا تَذْيِيرُكَ؟

٦- أَنْفِقْ وَلَا تُبَالِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَسَرَّيْنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْضُدُّهُ لِدِينٍ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هَذَا قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُبْقِيَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِ إِلَّا مَا كَانَ يُبْقِيهِ لَوَفَاءِ دِينٍ! لَوَفَاءِ دِينٍ لَا لِبِنَاءِ قَصْرِ، وَلَا لِأَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ، وَالْمَلَابِسِ، وَوَسَائِلِ النَّقْلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاقْتَدِ بِنَبِيِّكَ - عَافَاكَ اللَّهُ وَهَذَاكَ - وَلَا تُفَكِّرْ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُتَرَفِّينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ، وَيُمْرِضُ قَلْبَكَ.

٧- أَرْحُ قَلْبَكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يَعْنِي: لَا تَنْظُرْ

إِلَى مَنْ نَالَ أَكْثَرَ مِنْكَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعِهَا الزَّائِلِ، وَعَاشَ مُتَرَفًّا مُنَعَّمًا؛ فَإِنَّكَ قَدْ تَحْتَقِرُ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، وَتَقُولُ: فَلَانُ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنِّي. فَتَجْلِبُ -إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ- لِقَلْبِكَ الْهَمُّ، وَالْغَمُّ، وَالْحَقْدُ، وَالْحَسَدُ، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ خَيْرٌ لَكَ؟ فَكَمْ رَأَيْنَا أَنْاسًا يَتَعَدَّبُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَعَاشُوا حُرَّاسًا لِتِلْكَ الْأَمْوَالِ، حَتَّى فَاجَأَهُمُ الْمَوْتُ فَتَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ. وَالْمَالُ إِذَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ نِقْمَةٌ، وَلَيْسَ نِعْمَةً.

قِصَّةٌ

طَالِبَانِ كَانَا يَدْرُسَانِ مَعًا، وَبَعْدَ الدِّرَاسَةِ تَوُظَّفَ أَحَدُهُمَا فِي مَنْصِبٍ عَالٍ -هَكَذَا يُقَالُ- وَالثَّانِي اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ، وَكَانَتْ عَيْشُهُ مُتَوَاضِعَةً، وَكَانَ سَعِيدًا رَاضِيًا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، يَرَى أَنَّ الْفَوْزَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَرَّ عَلَيْهِ زَمِيلُهُ السَّابِقُ فِي الدِّرَاسَةِ، وَعَلَى الْمَارِّ عَلَامَاتُ الْعُجْبِ، فَرَأَاهُ جَالِسًا فِي الشَّمْسِ، وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَوَقَفَ يُكَلِّمُهُ، فَحَجَبَ عَنْهُ الشَّمْسُ، وَقَالَ لَهُ: هَلْ تُرِيدُ أَنْ أُسَاعِدَكَ بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أُرِيدُ أَنْ تَغْرُبَ عَنِّي شَمْسِي. فَاَنْظُرْ - أَخِي - إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَرُ مِنْكَ تُرِحَ قَلْبُكَ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ قَلْبًا وَقَالِبًا.

٨- عَبْدُ الدِّينَارِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمُ وَالْقَطِيفَةُ وَالْحَمِيصَةُ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْعِبَادَةُ لَيْسَتْ هِيَ الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ فَقَطْ، بَلِ الْعِبَادَةُ هِيَ الطَّاعَةُ، طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَعِبَادَةُ الشَّيْطَانِ طَاعَتُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ مُّشْرِكٍ سَوَاءٌ لِّلَّهِ الْبِرُّ أَمْ لِّلشَّيْطَانِ إِنَّمَا هِيَ إِفْكٌ أَوَّلَ أَعْيُنِهِمْ فَاصْبِرْ﴾ يَس: ٦٠

فَكُلُّ مَنْ أَطَعْتَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ عَبَدْتَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَصَيْتَ اللَّهَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَدْ عَبَدْتَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ. تَأَمَّلْ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ) فَقَدْ سَمَّاهُ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ سَجَدَ لِلدِّينَارِ، أَوِ الدَّرْهَمِ، وَإِنَّمَا عَصَى رَبَّهُ مِنْ أَجْلِ الْخُصُولِ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَصَيْتَ اللَّهَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَدْ عَبَدْتَهُ؛ فَكُنْ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ مَا دُمْتَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْتَ هُنَا فِي الدُّنْيَا فِي سِجْنٍ، وَالرَّاحَةُ أَمَامَكَ، اسْلُكْ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَيْهَا.

٩- السَّجْنُ الْمُؤَقَّتُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. الْمُؤْمِنُ مَسْجُونٌ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ نَفْسَهُ عَمَّا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَمْنَعُهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ الشَّاعِلَةِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ الْإِمَامُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ:

بَلْ جُعِلَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ سِجْنًا وَجَنَّةٌ لِلْكَافِرِينَ تَفْنَى

يَا وَيْلَ مَنْ جَنَّتُهُ الدُّنْيَا وَمَا لَهُ مِنَ الْآخِرَى نَصِيبٌ قُسِمَا^(١)

فَكُلُّ مَنْ عَاشَ يَتَمَتَّعُ بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وَتَرْفَهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَلَا يَهْمُهُ حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ، فَإِنَّ الدُّنْيَا جَنَّتُهُ الْمُؤَقَّتَةُ، وَإِذَا لَمْ يَثْبُتْ فَسَوْفَ يُخْرَجُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى سِجْنٍ رَهيبٍ، وَاللَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنْ ذَلِكَ السِّجْنِ أَبَدًا. أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنْ مَاتَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلُودِ، فَانْتَبَهَ قَبْلَ فَوَاتِ الْحَيَاةِ، وَقَبْلَ أَنْ تَقُولَ: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ﴿٢٤﴾ الفجر: ٢٤، وَاصْبِرْ مَا دُمْتَ غَرِيبًا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى بَلَدِ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ.

(١) (جوهر النظام).

١٠- الْغَرِيبُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. هُمُ الْغَرِيبُ أَنْ يَجْمَعَ مَا يَنْفَعُهُ فِي بِلَادِهِ حِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هَلْ رَأَيْتَ غَرِيبًا هَمَّتْهُ أَنْ يَتَزَيَّنَ وَيُفَاخِرَ أَهْلَ الْبِلَادِ؟ كَذَلِكَ أَنْتَ، مَأْمُورٌ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الْغَرِيبِ، هَمَّتْكَ مَا يَنْفَعُكَ فِي الدَّارِ الْبَاقِيَةِ وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ جَمِيعَ النِّعَمِ وَسَائِلَ تَقَرُّبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى تَرْفٍ وَزِينَةٍ، فَهُوَ يُرِيدُ زِينَةً لَا تَزُولُ. احْرِصْ عَلَى هَذَا عَافَاكَ اللَّهُ، وَاقْنَعْ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ مَالٍ، وَاقْتَصِدْ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى بَيْتِكَ؛ فَبِهَذَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَدَّقَ.

١١- الْقَنَاعَةُ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلِمَتُهُ فَقَنِي). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (شَطْرُ شَعِيرٍ): شَيْءٌ مِنْ شَعِيرٍ، أَيُّهَا الْمُتْرَفُونَ: هَكَذَا كَانَ عَيْشُ نَبِيِّكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، لَا أَقُولُ: جَوِّعُوا بُطُونَكُمْ؛ فَإِنَّ الْمُتْرَفِينَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَلِّلُوا مِنْ تَنْوِيعِ الْأَطْعِمَةِ، وَالْأَشْرَبَةِ، وَالْمَلَابِسِ، وَتَصَدَّقُوا بِمَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكُمْ تَجِدُوهُ يَوْمَ فَقْرِكُمْ، أَقْرِضُوا اللَّهَ مِنْ

هَذِهِ النَّعْمُ الْفَانِيَّةُ يَرُدُّهَا لَكُمْ خَالِدَةً، وَتَأْكُدُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُكُمْ. انْظُرُوا
مَاذَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

١٢- تَرَكَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: (مَا
تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا،
إِلَّا بَعَلَّتْهُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي كَانَ يَرْكُبُهَا، وَسِلَاحُهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ
صَدَقَةً). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَتَذَكَّرْ أَنَّ نَصِيبَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَنْفَقْتَهُ أَوْ أَكَلْتَهُ أَوْ
لَبِسْتَهُ.

١٣- نَصِيبُكَ مِنَ الْمَالِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ -بِكْسِرِ الشَّيْنِ وَالْحَاءِ الْمُشَدَّدَتَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّهُ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿الْهَكَمُ الْكَأْثُرُ﴾ ، قَالَ: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ:
مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ - يَا ابْنَ آدَمَ - مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ
لَبِسْتُ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ!). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَمْضَيْتَ: أَنْفَذْتَ.

هَذَا هُوَ نَصِيبُكَ مِنْ مَالِكَ، مَا أَكَلْتَهُ أَوْ لَبَسْتَهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، أَوْ
تَرْفٍ، وَكَذَلِكَ مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ، فَاحْرِصْ عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ طَلَبًا لِرِضَا رَبِّكَ
وَرَحْمَتِهِ، فَإِنَّ مَا أَكَلْتَهُ، أَوْ شَرِبْتَهُ، أَوْ لَبَسْتَهُ فَنِيَّ وَانْتَهَى، أَمَّا مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ
فَإِنَّكَ حَوَّلْتَهُ مِنْ فَنٍ إِلَى بَاقٍ يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

مَا أَكَلْتَهُ أَوْ لَبَسْتَهُ أَوْ تَصَدَّقْتَ بِهِ هُوَ لَكَ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ لِعَیْرِكَ
تَتْرَكُهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، وَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيرًا، وَلَوْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا تَمْلِكُ الْمَلَائِكِينَ،
وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى أَنَّكَ تُحَاسِبُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تُعَذِّبُ عَلَيْهِ، يَقُولُ الْحَكِيمُ يَحْيَى
بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ: "تَحُلُّ بِالْإِنْسَانِ عِنْدَ مَوْتِهِ فِي مَالِهِ مُصِيبَتَانِ مَا سَمِعَ الْأَوَّلُونَ
وَالْآخِرُونَ بِمَثَلِهِمَا: يَفُوتُهُ كُلُّهُ وَيُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ". (يُسْأَلُ): يُحَاسِبُ. وَاعْلَمْ أَنَّ
أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ.

١٤- أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ
فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يَعْنِي أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
الْفُقَرَاءُ الْمُتَّقُونَ، وَلَمْ يَقُلْ: الْمُتَرَفُّونَ الْمُنْعَمُونَ الْغَارِقُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الَّذِينَ

هُمْهُمْ بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ. هَذَا الْحَدِيثُ رِسَالَةٌ إِلَى الْمُتَرْفِينَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِينَا وَإِيَّاهُمْ، وَفِيهِ رِسَالَةٌ ثَانِيَةٌ لِلنِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ غَارِقَاتُ فِي حُبِّ الزَّيْنَةِ إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، وَالشَّاهِدُ مَا تَرَى كُلَّ يَوْمٍ، انْظُرْ لِمَاذَا الْخَيَّاطُونَ لِلنِّسَاءِ أَكْثَرُ مِنَ الْخَيَّاطِينَ لِلرِّجَالِ؟ هَلْ عَدَدُهُنَّ أَكْثَرُ؟

وَكَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ رَضِيَتْ أَنْ تَظْهَرَ شَبَهَ عَارِيَةٍ فِي الْقَنَوَاتِ الْفَاسِدَةِ الْفَضَائِيَّةِ، وَتَظُنُّ الْمُسْكِينَةَ أَنَّ هَذَا تَقَدُّمٌ وَرُقْيٌ! فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى؛ فَإِنَّ أَنْفَاسَهَا مَعْدُودَةٌ، وَإِذَا لَفَظَتْ آخِرَ نَفْسٍ وَلَمْ تَتُبْ فَيَا وَيْلَهَا مِنْ سِجْنٍ مُؤَبَّدٍ، وَأَحْزَانٍ لَا تَنْتَهِي. إِنَّ كُلَّ حُلُوٍّ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَعُودُ مُرًّا، وَكُلُّ فَرَحٍ بِهَا يَعُودُ حُزْنًا وَاللَّهُ. وَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعِيشَ فَقِيرًا؛ لَا، اْمْلِكْ مِائَاتِ الْمَلَائِكِينَ إِنْ اسْتَطَعْتَ -وَكَانَتْ حَلَالًا- وَلَكِنْ لَا تَنْسَ رُقِيَّةَ الْمَالِ، وَهِيَ أَنْ تَأْخُذَهُ مِنْ حَلَالٍ، وَتُسَخِّرَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَنْفَقْ مِنْهُ فِي طَلَبِ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَخْشَ الْفَقْرَ، فَإِذَا عَمِلْتَ لِلْمَالِ هَذِهِ الرَّقِيَّةَ لَا يَضُرُّكَ بَلْ يُعِزُّكَ، وَإِلَّا فَسَوْفَ يَلْدَغُكَ لَدَغَةٌ مَا سَمِعَ الْأَوَّلُونَ وَلَا الْآخِرُونَ بِمِثْلِهَا، وَيَبْقَى سُمْ هَذِهِ الْأَفْعَى أَبَدًا مُؤَبَّدًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَحِينَئِذٍ

اصْرُخْ كَمَا تُرِيدُ، وَسَوْفَ يَزِيدُكَ لَدَغَاتٍ وَلَدَغَاتٍ فَمَنْ تَلُومُ؟ أَلَيْسَ هَذَا
اخْتِيَارَكَ؟

وَبَعْضُ النِّسَاءِ تَذْهَبُ إِلَى الْخِيَّاطِ لِتَفْصِيلِ الشَّيَابِ وَتَتْرُكُهُ يَقِيسُ لَهَا،
وَيَلْمُسُهَا كَمَا يُرِيدُ! أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَحَلَّ خِيَّاطٍ فَوَجَدْتُ
امْرَأَةً قَدْ أَتَتْ بِنَاتِهَا لِلتَّفْصِيلِ، وَهُنَّ عَرَائِسُ، وَجَعَلَ الْخِيَّاطُ يَقِيسُ لَهُنَّ وَاحِدَةً
وَاحِدَةً، وَالْأُمُّ تَنْظُرُ مَسْرُورَةً، هَكَذَا لَا حَيَاءَ وَلَا إِيمَانَ وَلَا غَيْرَةَ! لِمَاذَا - يَا
فَتَاةَ الْإِسْلَامِ - وَصَلْتَ إِلَى هَذَا الدَّرَكِ؟ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَنْفَاسِكَ مَعْدُودَةٌ؟
لِمَاذَا اخْتَرْتَ الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْبَاقِيَةِ؟
يَا أَخِي أَلَمْ تَسْمَعْ بِمَنْ حَبَسَهُ مَالُهُ؟

١٥- أَصْحَابُ الْغِنَى مَحْبُوسُونَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةٌ مَنِ دَخَلَهَا
الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى
النَّارِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. تَأَمَّلِ الْحَدِيثَ، فَأَصْحَابُ الْجَدِّ (الْحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ)
مَحْبُوسُونَ، فَالْمَسَاكِينُ سَبَقُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْأَغْنِيَاءُ فِي الْحَبْسِ، وَالْإِسْلَامُ لَا يُحَرِّمُ

عَلَيْكَ أَنْ تَمْلِكَ أَمْوَالًا مِنْ حَلَالٍ، وَلَكِنَّ الْمُصِيبَةَ الْكُبْرَى أَنْ يَكُونَ الْمَالُ سَبَبًا فِي عَذَابِ النَّارِ الدَّائِمِ. يَا أَخِي: اْمْلِكْ مَلَائِينَ مِنْ حَلَالِكَ، وَاجْعَلْهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَّا فَهُوَ نِقْمَةٌ، وَلَيْسَ نِعْمَةً، أَلَا تَقْتَدِي بِنَبِيِّكَ ﷺ؟

١٦- عَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَا شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْرٍ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قُبِضَ: تُوُفِيَ. وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَأَعْطَى اللَّهُ رَسُولَهُ أَحْسَنَ أَنْوَاعِ التَّرَفِ وَأَكْثَرَهُ، وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ، وَلَمَا عَاشَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّسُلِ فَقَرَاءً، وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَرَفًا الْأَنْبِيَاءُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ لَهُمْ حَيَاةً بَاقِيَةً، تَأْمَلُ ثِيَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

١٧- كِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، قَالَتْ: (قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ). قُبِضَ: تُوُفِيَ.

١٨- بَذْلُ الْفَضْلِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، الْفَضْلُ: الرَّائِدُ عَنِ الْاِقْتِصَادِ، وَالْكَفَافُ مِنَ الرِّزْقِ: الْقُوتُ، وَهُوَ مَا كَفَّ عَنِ النَّاسِ أَيْ: أَغْنَى. هَذَا يَأْمُرُنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَبْذُلَ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِنَا، يَعْنِي نُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَنْتَ -إِذَا اتَّبَعْتَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرَفَهَا وَزُخْرُفَهَا- فَلَنْ يَبْقَى عِنْدَكَ شَيْءٌ تَتَصَدَّقُ بِهِ، وَتُقَدِّمُهُ لِيَوْمِ فَقْرِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَنْ يَبْقَى أَبَدًا حَتَّى لَوْ كَانَ رَاتِبُكَ شَهْرِيًّا عَشْرَةَ آلَافِ رِيَالٍ، وَالشَّاهِدُ مَا تُشَاهِدُ، وَلَكِنْ اِقْتَصِدْ وَدَعْ عَنْكَ التَّرَفَ وَالْإِسْرَافَ، اشْتَرِ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ بِأَقْلَى ثَمَنٍ، أَوْ كُنْ وَسْطًا، وَاتْرُكْ كُلَّ مَا أَنْتَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ، وَوَفِّرْ ذَاكَ الْمَبْلَغَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ الْإِمَامُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ دَعٍ وَلَا تُحَاوِلْهُ وَلَوْ لَمْ يُمْنَعْ

وَلْيَكُنْ شِعَارُكَ: دَعٍ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ طَلَبَتْ زَوْجَاتُهُ زِيَادَةً فِي النَّفَقَةِ لَمْ يَقُلْ لَهُ رَبُّهُ: أَعْطِهِنَّ مَا طَلَبْنَ، بَلْ أَمَرَهُ أَنْ يُخَيِّرَهُنَّ بَيْنَ الْبَقَاءِ عِنْدَهُ عَلَى تِلْكَ الْعَيْشَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ وَبَيْنَ الطَّلَاقِ، قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ الأحزاب: ٢٨ - ٢٩ هَكَذَا قُلْ لِرُزُوجَتِكَ إِذَا أَرَادَتْ التَّرَفَ، أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَقَدِّمِ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكَ لِيَوْمٍ فَفَرِّكَ تَفْرَحَ حِينَ تَرَى كِتَابَ أَعْمَالِكَ مَلِيًّا بِالْحُسَنَاتِ.

١٩- الْغِنَى الْحَقِيقِي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. الْعَرَضُ يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَالرَّاءِ: الْمَالُ.

مِنْ أَسْبَابِ التَّرَفِ

١. ضَعْفُ الْإِيمَانِ (التَّصَدِيقِ) بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ رَأَى الْجَنَّةَ بَعَيْنَيْهِ هَلْ يَشْغُلُهُ التَّرَفُ عَنْ طَلِبِهَا؟ لَوْ رَأَاهَا لَأَثَرَهَا؛ لِأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ يَقِينٌ بِوُجُودِهَا؛ لِأَنَّهُ رَأَاهَا، وَآيَقَنَ أَنَّ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ حَالِدَةً لَا تُسَاوِي شَيْئًا مَعَ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّ ضَعْفَ التَّصَدِيقِ أَوْقَعَهُ فِي التَّرَفِ.
٢. طُولُ الْأَمَلِ (الطَّمَعُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ) فَحِينَ يَطْمَعُ الْإِنْسَانُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ سَوْفَ يَرَى الْمَوْتَ بَعِيدًا؛ فَيَغْرُقُ فِي التَّرَفِ.
٣. عَدَمُ اخْتِذِ الْعِبْرَةِ مِنَ الْمُتَرَفِّينَ الَّذِينَ فَاجَأَهُمُ الْمَوْتُ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ زَادٌ، وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُتَرَفِّينَ الَّذِينَ خَنَقَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُمْ لَا يُبَالُونَ بِدِينِهِمْ!
٤. صُحْبَةُ الْمُتَرَفِّينَ.
٥. الْجَهْلُ بِمَصَارِعِ الْمُتَرَفِّينَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ حَالَهُمْ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ النَّكَالِ لَكَانَ حَذِرًا مِنْ ذَاكَ الْمَصِيرِ الْمُخْزِنِ.

عاقبة المترفين

هؤلاء المترفون كانت عاقبتهم مرة في الدنيا قبل الآخرة، سواء كانوا مشركين أو يدعون الإسلام.

كَانَ الصَّحَابَةُ - بَعْدَ مَعْرَكَةِ مِنَ الْمَعَارِكِ - فَرَحِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ وَانْعَزَلَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي، إِنَّهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرُ بْنُ نَفِيرٍ: "لَمَازًا تَبْكِي يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ؟" فَقَالَ: "وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَرَكُوا أَمْرَهُ! بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَرَأَيْتَهُمْ كَمَا تَرَى".^(١) فَالْإِنْسَانُ - إِذَا عَاشَ غَارِقًا فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا نَاسِيًا اللَّهُ تَعَالَى وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَلَيْسَ لَهُ قِيَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ يُهِنُهُ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِكْرَامَهُ؟ وَأَنْتَ - إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَصِيرَ الْمُتَرْفِينَ - اقْرَأْ سِيرَتَهُمْ كَيْفَ عَاشُوا؟ وَكَيْفَ نَهَاشَتُهُمْ؟ اقْرَأْ تَارِيخَ الْأَنْدَلُسِ، وَكَيْفَ غَرَقُوا فِي التَّرَفِ؟ وَكَيْفَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ؟ وَلَمَازًا نَبَعُدُ بَعِيدًا؟ انْظُرْ هَذِهِ الْحُرُوبَ الدَّائِمَةَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ

(١) (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٦٥، ابن الجوزي).

حَتَّى صَارَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا، وَمَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ إِلَّا أَنْ يَخْلُقُوا بَيْنَهُمُ
 الْمَشْكَلَاتِ وَهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِثْلَ الْأَطْفَالِ، وَأَعْدَاؤُنَا يَضْحَكُونَ مِنْ ضَعْفِ
 عُقُولِنَا، إِنَّهُمْ يُنَاطِحُونَ بَيْنَنَا مِثْلَ الثَّيْرَانِ! بَلْ إِنَّ أَعْدَاءَنَا صَارُوا يَقْتُلُونَ بَعْضَنَا
 عَلَى حِسَابِ بَعْضِنَا الْآخَرَ! أَلَيْسَ هَذَا وَاقِعَنَا؟ قَارِنْ بَيْنَ ذِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ،
 وَبَيْنَ عِزَّتِهِمْ حِينَ كَانَ قَائِدُهُمْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْتَ إِذَا عَرَفْتَ كَيْفَ غَرِقَ
 الْمُسْلِمُونَ فِي التَّرَفِ وَالْمَعَاصِي لَمْ وَلَنْ تَسْتَغْرِبَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْهَوَانِ
 وَالتَّقْتِيلِ.

الْحَادِي

تَقْضَى ثَمِينُ الْعُمَرِ فِي نَشْوَةِ الْهَوَى وَحَشْوُ مَزَادِي بَاطِلٌ وَغُرُورُ
أَلْهُو وَقَدْ نَادَى الْمُنَادِي لِمُنْتَهَى إِلَيْهِ وَإِنْ طَالَ الْمَطَالُ أَصِيرُ
وَصُبْحَانِ مَنْ عَقْلٍ وَشَيْبٍ تَنْقَسَا فَذَا مُسْفِرٌ هَادٍ وَذَاكَ سَفِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ سَوِّمْتُ نَفْسِي بِمَسْرَحٍ مَرَاعِيهِ سُمْ نَاقِعٌ وَشُرُورُ
يُطَوِّرُ لِي الشَّيْطَانُ أَطْوَارَ كَيْدِهِ وَنَفْسِي لَهُ فِيمَا يَشَاءُ نَصِيرُ
فَلَسْتُ بِمَتْرُوكٍ سُدَى دُونَ مَوْقِفِي عَلَى الْغَيِّ عُقْبَى أَشْرَفَتْ وَمَصِيرُ
سَيُوقِفُنِي مِنْ رَقْدَةِ اللَّهِو نَاعِبٌ يَحْطُّ بِمَحْتَرُومِ الرَّدَى وَيَطِيرُ
تَقْضَى بِي الْمَحْيَا وَجَهْلِي مَطِيَّتِي وَقَائِدُهَا دُنْيَايَ وَهِيَ غَدُورُ
أَمَانٍ وَأَوْهَامٌ وَزُخْرُفٌ بَاطِلٌ سَرَابٌ بِقِيَعَانِ الْفَلَاةِ يُدُورُ
مُحْصِلُهَا بِالْكَدِّ وَالْكَدْحِ رَاقِبٌ لِفَوْتٍ وَتَفْزِيقٍ إِلَيْهِ تَحُورُ
فَلَيْسَ سَدِيدًا جَمْعُ هَمٍّ لِمَجْمَعِهَا وَدَائِرَةُ التَّفْزِيقِ سَوْفَ تَدُورُ

سَنَتْرُكُهَا بِالرَّغَمِ وَهِيَ حَبِيَّةٌ وَرُبَّ حَبِيبٍ لِلنُّفُوسِ مُبِيرُ
وَمَنْ عَجَبٍ مِيلُ النُّفُوسِ لِعَاجِلٍ يَحُولُ عَلَى أَكْدَارِهِ وَيُبْشِرُ
وَإِسْرَاعُهَا فِي الْغَيِّ إِسْرَاعٌ آمِنٍ وَنَاقِذُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ بَصِيرُ
مَتَى أَقْلَعْتَ عَنَّا الْمُنُونُ وَهَلْ لَنَا بَغْيَرِ طَرِيقِ الْغَابِرِينَ عُشُورُ
أَمْ الْأَمَلُ الْمُلْهِي بَرَاءَةٌ غَافِلٍ مِنْ الْمَوْتِ أَمْ يَوْمُ الْمَعَادِ يَسِيرُ
أَتَمَرُحُ إِنْ شَاهَدْتَ نَعْشًا لِهَالِكٍ إِلَيْكَ أَكُفُّ الْحَامِلِينَ تُشِيرُ
سَتَرْكَبُ ذَاكَ الْمَرْكَبَ الْوَعْرَ سَاعَةً إِلَى حَيْثُ سَارَ الْأَوَّلُونَ تَسِيرُ
نَقِي مِنْ غُبَارِ الْأَرْضِ بِيضَ ثِيَابِنَا وَتِلْكَ رَفَاتُ الْهَالِكِينَ تَطِيرُ
لِي الْوَيْلُ هَلَّا أَرْعَوِي عَنْ مَهَالِكِي أَمَا فِي الْمَنَايَا وَاعِظُ وَنَذِيرُ
أَمَا فِي عَوِيلِ النَّائِحَاتِ مُذَكِّرُ أَمْ النَّوْحُ حَوْلِي وَالْبُكَاءُ صَفِيرُ
أَمْ الْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ مِنْ أُمَّ قَشْعَمٍ يَشُنُّ أَصِيلَ هَوَاهَا وَبُكُورُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ غَيْرِ نَفْسِي رُزُوهَا وَيَمْنَعُنِي مِنْهَا حِمَى وَسْتُورُ
بَلَى سَوْفَ تَغْشَانِي مَتَى حَانَ حَيْنُهَا فَيَعْجَزُ عَنْهَا نَاصِرٌ وَعَشِيرُ

وَتَفْجَأُنِي يَوْمًا وَزَادِي خَطِيئَةً وَإِثْمٌ وَحُوبٌ فِي الْكِتَابِ كَبِيرُ
أَرَى الْخُطْبَ صَعْبًا وَالنُّفُوسَ شَحِيحَةً عَلَى زُخْرُفٍ فَإِنْ مَدَاهُ قَصِيرُ
وَتِلْكَ ثَمَارُ الْجَهْلِ وَالْجَهْلُ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ وَدَاءٌ لِلنُّفُوسِ عَقُورُ
وَلَوْ حَاوَلْتَ نَفْسٌ عَنِ الشَّرِّ نَزْعَةً تَنَازَعَهَا طَبَعٌ هُنَاكَ خَوْورُ
فَرَجَّتْ بِهَا الْأَمَالُ فِي غَمَرَاتِهَا إِلَى أَنْ دَهَاهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
فَتَبَطَّهَا تَسْوِيفُهَا وَهَوَ قَارِضُ لِرِمَّةِ آجَالِ النُّفُوسِ هَضُورُ
وَدَابُّ النُّفُوسِ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ طَبَعَهَا إِذَا لَمْ يَصُنَّهَا لِلْبَصَائِرِ نُورُ
تَدَارَكَ وَصَايَا الْحَقِّ وَالصَّبْرِ إِنَّمَا يَفُوزُ مُحِقٌّ بِالْفَلَاحِ صَبُورُ
وَأَخَذَ بِكِتَابِ اللَّهِ حَسْبُكَ إِنَّهُ دَلِيلٌ مُبِينٌ لِلطَّرِيقِ خَفِيرُ
فَمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ الْقُرْآنُ دَلِيلَهُ وَمَا خَابَ مَنْ سِيرَ الْقُرْآنَ يَسِيرُ
تَمَسَّكَ بِهِ فِي حَالَةِ السُّخْطِ وَالرِّضَا وَطَهَّرَ بِهِ الْأَفَاتِ فَهُوَ طَهُورُ
وَحَارِبَ بِهِ الشَّيْطَانَ وَالنَّفْسَ تَنْتَصِرُ فَكَافِيكَ مِنْهُ عَاصِمٌ وَنَصِيرُ
دُعِيَ لِأَمْرِ لَيْسَ بِالسَّهْلِ فَاجْتَهِدْ وَسَدِّدْ وَقَارِبْ وَالطَّرِيقُ مُنِيرُ

وَأَسِسْ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَلَى قُطْبِ الْكَمَالِ تَدُورُ
وَزِنْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَا هُمَا جُنَّةٌ لِلصَّالِحَاتِ وَسُورُ
وَبِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ قُمْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَبَادِرْ فَالْمَعَاشُ قَصِيرُ
وَرَاقِبْ وَصَايَا اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً فِي كُلِّ نَفْسٍ غَفْلَةٌ وَفُتُورُ
وَجَرِّدْ عَلَى الْإِخْلَاصِ جِدَّكَ فِي التَّقَى فَفَوْقَكَ بِالشَّرِكِ الْخَفِيِّ خَيْرُ
وَتَابِرْ عَلَى الْمَعْرُوفِ كَيْفَ اسْتَطَعْتَهُ وَدَعْ مُنْكَرَاتِ الْأَمْرِ فَهِيَ ثُبُورُ
وَمِنْ حَيْثُ مَالِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَاسْتَيْقِ مَلِيًّا إِلَى الْخَيْرَاتِ حَيْثُ تَصِيرُ
وَأَخْلِصْ مَعَ الْجِدِّ الْيَقِينَ فَإِنَّهُ بِهِ تَنْضُرُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ بُدُورُ
وَبِالرُّتْبَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَرَعِ التَّبَسُّ فَلِلْوَرَعِ الدِّينُ الْحَنِيفُ يَحُورُ
وَكُنْ فِي طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ حَازِرًا كَمِينَ الْأَعَادِي فَالشُّجَاعُ حَذُورُ
يَجُوزُ طَرِيقَ الْإِسْتِقَامَةِ حَازِمٌ عَلَى حَرْبِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ قَدِيرُ
مَرَاصِدُهَا شَتَّى وَفِي كُلِّ مَرَصِدٍ لِحِصْنِكَ حَرْبٌ بِالْبَوَارِ تَفُورُ
فَلَا تَخْشَ إِرْهَاقًا وَسَاوِرَ لِيُوثِهَا بِعِزِّ يَفُضُّ الْخُطْبَ وَهُوَ حَسِيرُ

وَرَافِقُ دَلِيلِ الْعِلْمِ يَهْدِكَ إِنَّهُ طَرِيقُ يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهِ وَعَيْرُ
وَفِعْلُكَ حَدَّ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ التُّقَى عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ ضَيَعَةٌ وَغُرُورُ
فَمَا زَكَّتِ الطَّاعَاتُ إِلَّا لِمُبْصِرٍ عَلَى نُورِ عِلْمٍ فِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ
أَتَدْخِرُ الْأَعْمَالَ جَهْلًا بَوَجهَهَا وَأَنْتَ إِلَى عِلْمٍ هُنَاكَ فَقِيرُ
فَيَا طَالِبَ اللَّهِ ائْتِهِ مِنْ طَرِيقِهِ وَإِلَّا فَبِالْحَزْمَانِ أَنْتَ جَدِيرُ
فَلَسْتَ إِذَا لَمْ تَهْتَدِ الدَّرَبَ وَاصِلًا قَبِيلُكَ فِي جَهْلِ السُّلُوكِ دَبِيرُ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا أَرَدْتَ بِهِ التُّقَى وَإِلَّا فَخِطًّا مَا حَمَلْتَ كَبِيرُ
فَكَمْ حَامِلٍ عِلْمًا وَفِي الْجَهْلِ لَوْ دَرَى سَلَامَتُهُ مِمَّا إِلَيْهِ يَصِيرُ
وَمَا أَنْتَ بِالْعِلْمِ الْغَزِيرِ بِمُفْلِحٍ وَمَالِكَ جَدُّ فِي الثَّقَاةِ غَزِيرُ
وَحَسْبُكَ عِلْمًا نَافِعًا فَرْدُ حِكْمَةٍ بِهَا السِّرُّ حَيٌّ وَالْجَوَارِحُ نُورُ
تَعْلَمُ لَوَجْهِ اللَّهِ وَاعْمَلْ لَوَجْهِهِ وَثِقْ مِنْهُ بِالْمَوْعُودِ فَهُوَ جَدِيرُ
تَعَرَّضْ لِتَوْفِيقِ الْإِلَهِ بِحَبِّهِ وَدَعْ مَا سِوَاهُ فَالْجَمِيعُ فُشُورُ
هُوَ الشَّأْنُ بِالتَّوْفِيقِ تَزَكُّوْا ثَمَارُهُ وَمَتَجَرَّرُهُ وَاللَّهُ لَيْسَ يَبُورُ

كَأَيِّ رَأْيِنَا عَالِمًا ضَلَّ سَعْيُهُ وَضَلَّ بِهِ جَمُّ هُنَاكَ غَفِيرُ
 مَعَارِفُهُ بَحْرٌ وَيَصْنَرُ وَجْهُهُ إِلَى الْبَاطِلِ الْخِذْلَانِ وَهُوَ بَصِيرُ
 وَأَفْلَحَ بِالتَّوْفِيقِ قَوْمٌ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ فِي رَأْيِ الْعُيُونِ حَقِيرُ^(١)

(١) انتهى ملخصاً من ديوان الشيخ العلامة ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني ص

مَوَاعِظُ

يَا ابْنَ الْإِسْلَامِ الْعَزِيزِ تَذَكَّرْ مَا يَلِي:

- ١- التَّوْبَةُ التَّوْبَةُ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ النَّوْبَةُ.
- ٢- الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، قَبْلَ أَنْ تُقْطَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ الصَّلَاتُ.
- ٣- السِّبَاقُ السِّبَاقُ إِلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ، قَبْلَ أَنْ يَلْتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ.
- ٤- التَّقْوَى التَّقْوَى، قَبْلَ أَنْ يُقَالَ لَكَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَا تَقْوَى.
- ٥- الْبِدَارُ الْبِدَارُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يُسَدِّلَ عَلَيْكَ السِّتَارَ.
- ٦- تَصَدَّقْ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ ^{١٠} المنافقون:
- ٧- الْحَيَاةُ الْحَيَاةُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَ الْحَيَاةَ.
- ٨- الصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ لَا تَسْتَطِيعَ الصَّبْرَ.
- ٩- الشُّكْرُ الشُّكْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدَ الْوَفَرَ (الْمَالَ).

١٠- تَذَكَّرْ أَنَّ عُمُرَ الْإِنْسَانِ هُوَ الْوَقْتُ الْحَاضِرُ إِذَا كَانَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِأَنَّ الْمَاضِيَ قَدْ مَاتَ، وَالْمُسْتَقْبَلُ غَيْبٌ لَا نَدْرِي هَلْ نَصِلُهُ أَمْ لَا، فَعَلَيْكَ بِالْوَقْتِ الْحَالِيِ اغْتَنِمْهُ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ، لَا تَدَعُهُ يَفُوتُ كَمَا فَاتَ مَا مَضَى مِنَ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ. يَقُولُ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ خَلْفَانُ بْنُ جُمَيْلٍ السَّيَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

يَا نَفْسُ مَا أَمْسَ مِنْ أَيَّامِ عُمْرِكَ إِذْ خَلْتَ فَلَا تَحْسِبِي مَا كَانَ عَنْكَ خَلَا
يَا نَفْسُ إِنَّ غَدًا لَا تَعْلَمِينَ بِهِ لِمَنْ يَكُونُ لَعَلَّ الْحُبْلَ مَا وَصَلَا
يَا نَفْسُ مَا هُوَ إِلَّا الْيَوْمَ فَاجْتَهِدِي قَبْلَ الْغُرُوبِ وَإِلَّا فَاتَ وَارْتَحَلَا
١١- اَعْمَلْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ وَاحْذَرْ أَنْ يَشْعَلَكَ عَنْ طَلَبِ الْجَنَّةِ، تَذَكَّرْ
يَوْمَ النُّشُورِ مِنَ الْقُبُورِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (المالك: ١٥)، نَعَمْ، اَعْمَلْ وَاشْتَغِلْ
وَلَكِنْ لَا تَنْسَ يَوْمَ النُّشُورِ.

١٢- تَذَكَّرْ قَبْلَ كُلِّ عِبَادَةٍ أَنَّكَ تُرِيدُ بِهَا ثَوَابَ اللَّهِ، تُرِيدُ بِهَا رِضَاءَ اللَّهِ، تُرِيدُ
بِهَا الْجَنَّةَ، وَلَا تُرِيدُ مَدْحًا مِنْ أَحَدٍ وَلَا جَاهًا وَلَا شُهْرَةً.

١٣- تَذَكَّرْ أَنَّ كُلَّ عِبَادَةٍ لَا تَقْصِدُ بِهَا رِضَاءَ اللَّهِ فَلَا أَجْرَ فِيهَا، تَحَيَّلْ، قَدْ يَعِيشُ الْإِنْسَانُ سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ وَهُوَ يُصَلِّي وَيُؤَدِّي جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ، وَكُلُّ تَعَبِهِ هَبَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ رِضَاءَ اللَّهِ، فَضَبِطِ النِّيَّةَ يَا أَخِي قَبْلَ كُلِّ عِبَادَةٍ.

١٤- تَذَكَّرْ أَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ تُقَرِّبُكَ مِنَ الْآخِرَةِ فَلَا تَغْفُلْ مَعَ الْغَافِلِينَ الْمَفْتُونِينَ بِرِينَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكَ الْهُدَايَةَ وَالتَّيْسِيرَ.

مَرَاجِعُ مُهِمَّةٌ فِي الْمَوْضُوعِ

مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُعَدُّ مَرْجَعًا فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّرَفِّ، وَعِلَاجِهِ، وَأَسْبَابِهِ:

١. جَوْهَرُ النِّظَامِ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ، وَخَاصَّةً بَابُ الزُّهْدِ، لِلْإِمَامِ نُورِ الدِّينِ السَّالِمِيِّ.

٢. سِلْكُ الدَّرَرِ، الْمُجَلَّدُ الثَّانِي، لِلشَّيْخِ خَلْفَانَ بْنِ جَمِيلِ السِّيَّاطِيِّ.

٣. الدَّلَائِلُ، لِلشَّيْخِ دُرُوشِ بْنِ جُمُعَةَ الْمَحْرُوقِيِّ، بَلَّ كُلُّ كُتُبِ هَذَا الشَّيْخِ.

٤. جَمِيعُ الْكُتُبِ الَّتِي تُحَذِّرُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، وَهَوَاهَا، وَتَحْتِ عَلَى الزُّهْدِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِي، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا لَا أُحْصِيهَا، وَكُلُّهَا تَدْفَعُكَ إِلَى إِثَارِ الْآخِرَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الْخَاتِمَةُ

وَحَتَمًا أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يُبْعِدَنَا عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ، وَأَنْ
يَرْزُقَنَا إِثَارَ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ قُلُوبَنَا وَقَوَائِبَنَا لَا تُفَارِقُ بَابَهُ، وَأَنْ يُبْعِدَنَا عَنْ
كُلِّ مَا يُلْهِمُنَا عَنْ طَاعَتِهِ وَطَلَبِ جَنَّتِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهَذَا الْكِتَابِ، وَيُؤْجِرَ
وَيُبَارِكَ فِي مَنْ أَسْهَمَ فِي إِعْدَادِهِ، أَوْ طِبَاعَتِهِ، أَوْ تَوْزِيْعِهِ، أَوْ إِهْدَائِهِ؛ طَلَبًا لِرِضَا
مَوْلَاهُ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ فِي أَوْقَاتِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ.
آمِينَ.

إِعْدَادُ: سَعِيدِ بْنِ مَطَرِ بْنِ سَعِيدِ الْمَسْقَرِيِّ.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري.
٣. صحيح مسلم.
٤. سنن الترمذي.
٥. رياض الصالحين، للنووي.
٦. السيف النقاد، للإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي.
٧. ديوان البهلاوي.
٨. جواهر النظام، للإمام السالمي.
٩. الدعائم للشيخ ابن النضر.
١٠. سلك الدرر للشيخ خلفان بن جميل السبيبي.
١١. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
١٢. تيسير التفسير للشيخ محمد بن يوسف اطفيش.

الْفَهْرَسُ

٧	المُقَدِّمَة
٨	مُقَدِّمَة الطَّبْعَة الثَّانِيَة
١٠	حَقِيقَة التَّزْف
١٥	التَّزْفُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
١٥	١- بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عَذَابَ الْاسْتِئْصَالِ لِلْأُمَّمِ لَهُ سَبَبَانِ:
١٩	٢- الْمُتَزَفُّونَ يُكَذِّبُونَ الرُّسُلَ:
١٩	٣- الْمُتَزَفُّونَ يُحَاوِلُونَ الْهَرَبَ:
٢٠	٤- الْمُتَزَفُّونَ يَصْرُخُونَ:
٢٠	٥- التَّزْفُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:
٢٢	التَّزْفُ فِي السُّنَّةِ
٢٢	١- زَهْرَةُ الدُّنْيَا
٢٥	قِصَّةٌ
٢٥	٢- الدُّنْيَا حُلْوَةٌ.
٢٦	٣- يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ.
٢٧	٤- نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ.
٣٠	٥- مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا!
٣١	٦- أَنْفَقَ وَلَا تُبَالِ.
٣١	٧- أَرْخَ قَلْبَكَ.

٣٢	قَصَّة
٣٣	٨- عَبْدُ الدِّينَارِ .
٣٤	٩- السَّجْنُ الْمُؤَقَّتُ .
٣٥	١٠- الْغَرِيبُ .
٣٥	١١- الْقَنَاعَةُ .
٣٦	١٢- تَرْكَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
٣٦	١٣- نَصِيبُكَ مِنَ الْمَالِ .
٣٧	١٤- أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ .
٣٩	١٥- أَصْحَابُ الْغِنَى مُحْبُوسُونَ .
٤٠	١٦- عَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
٤٠	١٧- كِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
٤١	١٨- بَذْلُ الْفَضْلِ .
٤٢	١٩- الْغِنَى الْحَقِيقِي .
٤٣	مِنْ أَسْبَابِ التَّزْفِ
٤٤	عَاقِبَةُ الْمُتَزَفِينَ
٤٦	الْحَادِي
٥٢	مَوَاعِظُ
٥٥	مَرَاجِعُ مُهِمَّةٍ فِي الْمَوْضُوعِ
٥٦	الْحَاتِمَةُ
٥٧	الْمَصَادِيرُ وَالْمَرَاJُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فالإنسان - إذا عاش غارقاً في حب الدنيا وزينتها ناسياً الله تعالى،
واليوم الآخر فليس له قيمة عند الله تعالى؛ إنه هين على الله، ومن
يهنه الله تعالى فمن يستطيع إكرامه؟ وأنت- إن شئت أن تعرف مصير
المترفين- اقرأ سيرتهم كيف عاشوا؟ وكيف نهايتهم؟ اقرأ تأريخ
الأندلس، وكيف غرقوا في الترف؟ وكيف سلط الله عليهم أعداءهم؟
ولماذا نبعد بعيداً؟ انظر هذه الحروب الدامية في بلاد المسلمين
حتى صار بأسهم بينهم شديداً...



مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية

سلطنة عمان- ولاية الرستاق

هاتف ورأسه: 26875222

ص ب: 94 الرمز البريدي: 318

البريد الإلكتروني: alhilal222@yahoo.com